أخي المسلم:

مَنْ يحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟

البشلي

ألقاها
الشيخ/ عمر بن سعود العيد

أعدها ونسقها
مركز السنة للبحث العلمي

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

أصل هـذه الرسالة محـاضـرة ألقاها فضيلة الشيخ عـمر بن سـعـود العيـد فنسـخـناها وتم عـرضـهـا علي فـضـيلتـه فـأجـازها، وتم نشـرها .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

رقم الإيداع : ١٧٢٠٤ / ٩٩
طبع بدار نوبار للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نرجو بها النجاة إذ نلقاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير مَنْ رَبَّى هذه الأمة ودلها للخير ونصحها ووجّهها وبيّن لها طريق الصلاح والاستقامة.

أما بعد، فهذه الرسالة قطرات من نصٍ قاله النبي ﷺ، وهي وقفات مع حديث المصطفى ﷺ عن بعض الأمم الغابرة التي فيها الأعاجيب ولاشك فقد صَدَقَ الرسول إذ قال لنا: حدثوا عن بني إسرائيل

ولاحرج فإن فيهم الأعاجيب[1]. ولعلى أتحدث عن أعجوبة من أعاجيبهم وإن كان الحديث حول التوبة فقط وعنوانها «من يحول بينك وبين التوبة». قبل أن أنطلق لحديث المصطفى ﷺ أبدأ بمقدمة يسيرة: إن الواجب على العبد المسلم أن يعتصم بالله حق الاعتصام. وقضية الاعتصام بالله تعالى هي صدق اللجأ إليه والامتثال والتضرع بين يديه كما أمرنا الله في كتابه؛ لأن ثمرة ذلك الاعتصام هي الاستقامة على دين الله تعالى والالتزام بمنهج الحق. والله يقول - ومن أصدق منه قيلا- **﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم﴾** [آل عمران: ١٠١] وكلما كملت عصمة العبد بالله تعالى فإن الله لايخذله أبدًا، ولن يسلمه لأعدائه أبدًا، ولن يتركه

(١)رواه البخاري (٣٤٦١) والترمذي (٢٦٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو - دون قوله «فإن فيهم الأعاجيب»، وبتمامه رواه أحمد بن منيع من مرسل عبد الرحمن بن سابط كما فى المطالب العالية (٧٧٤).

وحده أمـام الشيطان ونفـسه الأمارة بالسـوء، وأمام أعدائه الذيـن يحيطون به يمنة ويُسـرة؛ لأن من كان الله مـعه فلن يـصل إليه أحـد مهـمـا كانت قـوته وجبروته، والله بين لنا في كتابه بقوله ﴿**واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولي ونعم النصير**﴾ [الحج: ٧٨] ومن اعتصم بالله تعالى كـفاه من الشرور كلها أولها شر النفس التي بين جنبي الإنسان ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء إلا مـا رحم ربي**﴾ [يوسف: ٥٣] ومن منا يقول إن نفسه لاتزين له شيئًـا من السوء، ولكن إذا اعتصم العبد بالله وقاه شر نفـسه. ومن منا يقول إن شيطانه لايزين له المعـاصي والسيـئات، مـا منا للأسف إلا والشيطان يقـدم له المعصيـة ويحببهـا إليه ولكن من اعتصم بالله كفاه، ونصره الله على أعدائه. والنفس والشيطان هما العدوّان اللذان لا يفـارقان العبد أبدًا، ومن يقول إن نـفسي قد خـرجت من عندى؟ أو إن الشيطـان في هذه اللحظة لايكون عندي ؟ مِنْ أوثق

الأشيـاء بالإنســان هما النفس والشـيطان. ولكن إذا اعتـصم العبد بربه سبـحانه وتعالى لن يصــلا إليه، ولهذا ذكر ابن القيم وذكـر غيره من أئمة السلف أن عداوة النفس وعداوة الشيطان أعظم من عداوة العدو الخارجي فـإن العدو الخارجي تعرفـه بشكله وبمظهره وتعد له العدة، لكن من منا يعد العدة لنفسه الأمارة بالسوء ؟ إن لـم يعتصم الإنســان بطاعة الله تـعالى والالتـزام بمنهجـه فسـرعـان ما ينسـاق وراءها تلك بالشهوات وبالشبهات ويضل عن سواء الصراط، ولا تحصل له الاستقامـة على دين الله تعالى. سبـحان ربي إذ جـعل من طبيـعة هذه النفـوس أنها جـاهلة وجعل من طبيعتها الظلم فاجتمع فيها الجهل والظلم والله ذكر عـن الإنسان ﴿**إنه كـان ظلومًـا جهـولاً**﴾ [الأحزاب : ٧٢] وهذا الجهل والظلـم لابد من دفعهـما عن العبد المسلم، وإلا أصبحت نفـسه جهولة ظلومة عند ذلك يصدر منه كل عمل قبيح وكل عمل يبعده

عن الله. ويرتفع جـهل الإنسـان بالعلم النافع وهو العلم الموافق للكتاب والسنة ذاك الذي أنزله الله على رسولـه وجعله نوراً يسـتضيء به الناس في ظلـمات الشبـهات والشهوات وغـيرها . إنه النور الذي أنزله الله على رسـوله في قوله ﴿**وكـذلك أوحـينا إليك روحًا من أمرنا مـا كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جـعلناه نوراً نهدي به من نشـاء**﴾[الشورى: ٥٢]. الله أكبـر من كان في يده يحـمل مشعـل النور فإنه لايضل. وكم تحـيط بالناس من الـظُلَم العظيـمـة منكرات ومـعاصي وشـبهـات وغيرها مـن الأمور، ولكن نور الإيـمـان والوحي يمشي به الإنـسـان في طريقه فـيضيء له الطريق، وإذا ارتفع الجـهل بالعلم الذي هو علم الكـتاب والسـنة. ولكن كـيف يرتفع الظلم؟ إنـه يرتفع بالعـمل الصـالح الذي يُـخْـرج الإنسـانَ عن وصف الظلم. فـإذا عمل الإنسـان بما علم ذهب عنه ذلـك الظلم واهتـدي لطريق الخـيـر

والاستقامة. فإذا جمع الإنسان علمًا ثم جمع عملًا لابد أن يحف بمحفة تجعله يستقيم إنه صدق اللجأ إلى الله تعالى، اللجأ الصالح من فيه العبدَ المقبل فيه على الله تعالى بأن يقيه الله شر نفسه وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، فإن من وكله الله إلى نفسه هلك في الدنيا ولم ينجُ يومَ القيامة. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[1] بل كان من دعاء النبي صلي الله عليه وسلم «اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسى»[2] أو ليس في خطبة الحاجة يقول مبينًا النبي ﷺ: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ

(١) حديث ضعيف بهذا اللفظ رواه البزار (٣١٩٠) كشف الأستار من حديث ابن عمر وانظر ضعيف الجامع (١٣١٤) وله شاهد من حديث أنس أخرجه النسائي (٥٧٠) فى عمل اليوم والليلة والحاكم (١/ ٥٤٥) وغيرهما. وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٧٣).

(٢) رواه الترمذى (٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين، وابن حبان (٨٩٩) وغيره من حديث حصين والد عمران وحسنه محققا الإحسان والطبراني.

بالله من شـرور أنفسنا وسيـئات أعـمالنا[١]. شرور الأنفس وسيئات الأعمال ترتفع عن الإنسان كما قلنا بالعلم النافع الذي يتبصر به الإنسان ورتب الله على ذلك صلاح الإنسان فـي الدنيا والآخرة ﴿**ومن يوق شح نفـسه فـأولئك هم المفلحـون**﴾ [الحشر : ٩] وإني لأعجب من عـبد الرحمن بن عـوف رضي الله عنه وأرضاه إذ كان يطوف بالبيت سبـعة أشواط فما يزيد أن يدعو اللهم قني شح نفـسي سألوه: لم تكثر من هذا الدعاء؟ قال: أو مـا علمتم أن الله يقول: ﴿**من يوق شح نفـسـه فـأولئك هم المفلحـون**﴾[٢] وإن من أفلح لاشك بأنه يُفلح في الدنيا وفي الآخرة. أنطلق

(١) **صحيح** رواه أبو داود (٢١١٨) والترمذى (١١٠٥) والنسائى (٦/ ٨٩) وابن ماجه (١٨٩٢) وانظر صحيح أبى داود (١٨٦٠)..

(٢) رواه الطبرى (٢٨/ ٤٣) عن أبى الهياج الأسـدى قال: كنت أطوف بالبيت، فـرأيت رجلا يقـول: اللهم قني شح نفـسي لايزيد على ذلك، فـقلت له، فقال: إنى إذا وقـيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شـيئًا، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف.

الحديث هو الذي نقف معه ، وأخذت عنوان هذه الرسالة من لفظ من الحديث «من يحول بينك وبين التوبة» هو حديث عجيب، ولاشك بأنه عجيب ، رواه الإمام مسلم رحمه الله ورضي عنه في كتاب التوبة [1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأرضاه، هو حديث عن أمة من الأمم التي قبلنا وهم بنو إسرائيل يقول فيه النبي ﷺ «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل - بعد أن قتل هذا العدد العظيم - سأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على راهب - دُل على رجل عابد كثير العبادة- فأتاه فقال له: إني قتلت تسعة وتسعين نفسًا فهل لي من توبة؟ فعجب هذا الراهب - عجب كيف وصل به الإجرام إلى أن قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم يبحث عن توبة- قال له : لا أجد لك توبة . فقال هذا

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦ / ٤٦، ٤٧، ٤٨)، وابن ماجه (٢٦٢٢) واللفظ لهما دون البخاري.

الرجل الذي قتل تسعة وتسعين: ما دام لا توبة فلماذا تبقى حيًا؟ فقتله وكمل به المائة. ثم بقي مدة من الزمن ثم سأل عن أعلم أهل الأرض مرة أخرى، فدل على رجل عالم متبصر بنور الله الذي أنزله على رسله عليهم الصلاة والسلام، فجاء إليه قائلا: إني قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ قال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة. ثم دله ناصحًا له: انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتي إذا انتصف في الطريق نزل به الموت لقبض تلك الروح التي لم تعمل خيرًا قط غير أنها توجهت لديار أهل الخير والصلاح والإيمان فنزلت الملائكة لقبض هذه الروح ، سارعت ملائكة الرحمة وسارعت ملائكة العذاب وكلٌ من هؤلاء الملائكة يقول: نحن أحق به ، ينتظرون ملك الموت أن ينزع الروح منه حتى تقبضها اختصمت بينها،

ولكن حصلت الخصومة وكلٌ أدلى بحجته، تقول ملائكة الرحمة: جاء تائبًا إلى الله سبحانه وتعالى متوجها لله بقلبه فنحن أحق بقبض روحه وقالت ملائكة العذاب: إنه قد قتل مائة نفس ولم يعمل خيرًا قط، ما الذي عمله غير أنه توجه؟ فأنزل الله تعالى لهم ملكا في صورة آدمي ثم قال: قيسوا بين الطريقين قرية أهل الصلاح وقرية أهل المعاصي والفجور فانظروا إلى أيهما أقرب أو أدني فتقبضه الملائكة، فإن كان أقرب إلى قريته السابقة التي قتل فيها مائة نفس تقبضه ملائكة العذاب، وإن كان أقرب إلى قرية أهل الصلاح والعبادة تقبضه ملائكة الرحمة. يقول قتادة : قال الحسن رحمه الله ورضي الله عنه: ذُكر لنا أنه لما نزل به الموت لم يستطع أن يمشي .كان قويًا نزل به الموت وجاءت شدائد الموت وكربه سقط على الأرض لا يستطيع أن يمشي، لكن في قلبه حادٍ يحدوه لبلد أهل الصلاح والإيمان ،

يريد أن يغير من واقعه وحياته وما هو عائش فيه، لما سقط وقلبه يحدوه لهذه القرية الصالحة. أخذ يلوح بصدره يزحف على بطنه يريد أهلَ الصلاح أن يجلس معهم. وسبحان ربي قاسوا بين القريتين قال في بعض الروايات: وجدوه في المنتصف أقرب إلى أهل الصلاح بشبر وفي بعضها: بذراع فقبضته ملائكة الرحمة.

هذا حديث عظيم وسنأخذ من هذا الحديث قريبًا من عشرين درسًا تربويًا في هذا الحديث «من يحول بينك وبين التوبة». أجعلها تربوية لأننا نستقي من سنة النبي ﷺ الصحيحة. يستفيد منها الموجه والمربي والمدرس وطالب العلم، بل لأفراد الأمة على جميعها سيجدون نفعا بإذن الله من هذه الدروس. وإني أقول لأحبتي إني إذ أتأمل هذه الصحوة المباركة التي أثلجت صدورنا بإقبال الناس على دين الله ورغبتهم في الالتزام بشرع الله نجد السرور

والطمأنينة. ولكني أقول لإن كان يوجد الخير والصلاح والإيمان لكن ثمة ثلم نحن في حاجة إلى سد ثغرات، كم فيها من بعض من النقص. وله أسباب لعل من أسبابها ضعف المنهج التربوي الذي لانستفيد منه من هدي النبي ﷺ. إني لاأدعي الحصر لهذه الدروس في هذا الحديث، ولكني أخذت بعضًا ولعل أحبتي عندهم ما لم أذكره بل خير مما ذكرته. أري أننا في حاجة في سيرنا إلى الله إلى الاستنباط من هَدْي النبي صلي الله عليه وسلم ومن حديثه. ولعل الله ييسر سلاسل كان في ذهني أن أسميها «دروس من مؤمني بني إسرائيل». ولعل هذا هو الدرس الأول من قصصهم وأخبارهم. هذا الحديث جعله الإمام مسلم في باب التوبة، وإني أبدأ بمقدمة في قضية التوبة. التوبة ما هى؟ إنها الرجوع وهي رجوع العبد إلى الله تعالى ومفارقته لصراط المغضوب عليه والضالين. هذا الرجل تاب إلى الله

عز وجل ورجع وترك طريق المغضوب عليهم وطريق الضـالين، ويريد أن يعـود إلى منهج الله وأن يعـود إلى ربه وأن يتوب من تلك الـذنوب التي أحدقت به حتي أصبـح يسمي سفاحًا مـتميزًا. قـتل مائة نفس ومع ذلك أراد الرجـوع إلى الله تعالى. إن الهـداية إلى صـراط الله المسـتـقـيم لاتكون أبدًا مع الجـهل بالذنوب ؛ لأن الجـهل ينافي الهدى، والهـدي لابد فـيـه من علم. ومن كـان جـاهلًا بالذنوب فـإنه لم يهتدى.

الأمر الثاني: لاتتم الهداية إلى الصـراط المستقيم مع الإصرار على الغي والإصرار على المعـصية؛ لأن ذلك ينافي التـوبة والرجـوع إلى الله تعالى، ولهـذا قال العلماء وذكرها الإمام ابن القيم في المجلد الأول في منزلة التوبة في كتابه مـدارج السالكين، فقد ذكر أن التوبة لا تصح إلا بثلاثة أمور:

الأمر الأول: معـرفة الذنب: ولعله هو أول درس

نستفيده من قصة الذي قتل مائة نفس، ونقصد بتلك المعرفة أن يشعر الإنسان بقصوره ونقصه وبمعصيته وذنبه. إن كثيرًا من الناس تأتيهم لتنصحهم عن ذنب ألموا به قالوا: ما عندنا ذنب. ومن يقول : إنا عصينا الله . وهل نحن كفار؟ وهل نحن خرجنا عن جادة الصواب وعن صراط الله المستقيم؟ فهؤلاء القوم يتهربون من إقرارهم بأنهم عصوا الله تعالى، تأتي لإنسان يفرط في صلاة الفجر وربما لايشهدها شهرًا وشهرين تقول له: إنك لا تصلي صلاة الفجر، يأتيك بستين عذرًا يعتذر بها ليبرر بها قصوره ونفسه. ومن هنا هؤلاء الذين يبررون معاصيهم لن يتوبوا من تلك العاصي أبدًا ويُختم لهم بخاتمة السوء. إن الميزان في معرفة الذنوب هو الكتاب والسنة والتعرف على منهج الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. أقول لأحبتي بأمر واقع يجعلنا لا نشعر بقصورنا ولا بذنوبنا: كم من الناس تذكر لهم شيئا

من الانحـرافات بالمجتـمع وشيـئًـا من الملاحظات والذنوب. يقولون: نحـن خير من غيـرنا انطلق هنا وهناك ستجد مجتمعنا ولله الحمد خير. لكني أقول: اربط مجتمعنا بمجتمع الصحابة الأخيار لتبصر مقدار الانحـراف والخطأ الذي يوجـد فيـه. ولست أطالب بالكمال فـإن ذلك أمر مستـحيل ولكن كوني أشـعر بذنبي يدعوني إلى أن أنطلق إلى الأفضل وأرتقي إلى أمر أعلى من المستوي الذي أنا فـيه. ولكن مشكلتنا أن نقارن أنفسنا بالمتردية والنطيـحة وما أكل السبع ثم نقول: نحن خـير من غيـرنا. إني لأتأمل قول أنس بن مـالك رضي الله عنه وأرضـاه يخاطب التـابعين يخاطب القـرن الثاني بل آخر القـرن الأول يخاطب خيار الأمة يقول لهم: إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينـكم من الشعر كنا لـنعدها على عهـد النبي ﷺ من الموبقات[1]. قـال البخـاري: يعني بذلك

(١) رواه البخاري (٦٤٩٢).

المهلكات . ليت شعري لـو كان أنس بن مالك ينظر إلى حالنا ومـجتمعـنا فما ندري ما يقـول، إذا كان يخاطـب الجيل الثاني ذلـك القرن الذي ميـزه النبي «خـيـر الناس قـرني ثم الـذين يلونه»[1] ومع ذلك يخاطبـهم بهذه المخاطـبة نجد أننا في حـاجة إلى أن نعرف مقدار الذنوب والمعـاصي التي عندنا؛ ليتجدد ما عنـدنا من الصلاح والإيمان ومن هنا لعلى نبـهت سابقًا لمحاضرة قديمة سميتها «حاجتنا لسير الصحابة» تكلمت عليـه بشيء من الـتوسع ولن أعـود إليـه . وانطلقوا لتـعرفوا مـقدار أثر الذنوب في كـتاب ابن القـيم العظيـم الجواب الـكافي لمن سـأل عن الدواء الشافي. يومئ النبي ﷺ بقضية مـعرفة الإنسان بذنبه ومعصيـته أن هذا بريد الإيمان، ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قـال: «من سرته حسنتـه وساءته

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣ / ٢١٢).

سيـئته فهـو مؤمن»[1] أي أن في قلبه إيمـانًا يميز بين الحق والبـاطل يميـز بين الظلمـة والنور بين الضـلال والهدي، لكن إذا أصبح الإنسان قلبه كالكُوز مُجَخيًا لايعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا فإلى الله المشتكي من حال هؤلاء القوم. هذا الذي قتل تسعة وتسعين نفسا شعـر بذنبه فإنه قتل تسـعًا وتسعين نفـسا بحث عن طريق شعر بظلمة في قلبه شعر بأن المعاصي أحاطت به أول ما حصل له شعـوره بانحرافه عن جادة الحق والصـواب فـيـريد لزوم الطريـق عند ذلك هو أول منازل الطريق فـي الاسـتـقـامـة على دين الله. لا يستـقيم العبد حـتي يشعر بأن عنده ثمـة خطأ وثمة معصية لابد من الإقلاع منها.

الأمر الثاني الذي لاتصح التـوبة إلا به الاعتراف بالذنب، فـإن العبد إن لم يـعترف بذنبـه لايمكن أن

(١) **صحيح**. رواه الترمذي (٢١٦٥) وأحمد (١/ ١٨) وانظر صحيح الترمذي (١٧٥٨).

يتوب منه. بعض من الناس تأتيه فتقول له: لماذا أنت مسبل لإزارك؟ يقول: وهل هي معصية؟ ما اعترف، وعندها لايتوب منها، فيموت وهو مسبل ويموت وهو متوعَّد بحديث النبي ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره....»(١). تأتي لبعض الناس تقول لهم: إن الزمر والطرب حرام بدلالة الكتاب والسنة. يقول: من قال هذا؟ ما يعترف بذنبه، إذًا يموت على معصيته ولايتغير منها.

الأمر الثالث طلب التخلص من سوء العاقبة، أي من سوء عاقبة الذنوب، ولا يمكن التخلص من سوء عاقبة الذنوب إلا بالعمل الصالح الذي يعمله الإنسان ويسير فيه على منهج الله وصراطه المستقيم. إنك إذ تعصي مرتين تجد المعصية قريبة ثم

---

(١) رواه مسلم (١٠٦/ ١٧١) وأبو داود (٤٠٨٧، ٤٠٨٨) والترمذي (١٢١١) والنسائي (٥/ ٨١) وابن ماجه (٢٢٠٨).

الأخـرى وراءها وهكذا، فـإذا اسـتـمررت مـعـهـا هلكت، وإنك إن تطيع الله تعـالى وتستقـيم تجد أن الحسنة تقـول: أختي أختي. ويحاط الإنسـان بسياج منيع.

الدرس الثـاني وآخذه من قـصة هذا العـابد الذي استبشع هذا الدم، العابد صاحب صيام وقيام وطاعة وقربة فعجب من ذنب هذا الرجل قال له: إني أريد التوبـة. قال ما ذنبـك؟ قال: قتلـت تسعًا وتـسعين نفسـا. نحن نستـشعر به بأنفـسنا لو أُدخل علينا من المحراب فـقيل: هذا الذي قتل البارحـة رجلا قلنا: أعوذ بالله، الله يقول: ﴿**ومن يقتل مـؤمنا متعـمدًا فجـزاؤه جهنم خـالدًا فيهـا وغضب الله عليـه ولعنه وأعد له عـذابًا عظيـمًا**﴾ [النساء: ٩٣] فكيف إذا أَدخلنا وقلنا : هذا قـتل خمسين نفس، كـيف إذا قلنا هذا الرجل قتل مـائة نفس. استعظام، ولعل العـابد كان أثر ذلك الاستعظام في نفسه لأمور: أوله جهله وهذا

لن أتكلم عنه، إنني أريد الدرس التربوى: كثرة العبادة عند العبد توجب له صفاءًا وتوجب له هيبة وخشية من الله وتوجب له استعظامًا للذنب وإكبارًا له وبعدًا عن المعاصي والسيئات. ولذلك أقول لأحبتي: إن علينا أن نكثر من الطاعات ما استطعنا ومن العبادات حتي نبتعد عن المعاصي ولذلك الله قال: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ [البقرة : ٢٥٧] الظلمات ما هى؟ هي ظلمة الشرك ظلمة المعصية ظلمة الشبهات ظلمة البعد عن الله تعالى وترك الطاعات. يخرجهم من الظلمات إلى النور إنه نور الصلاح والاستقامة على دين الله تعالى. فأكثر يا أخي المسلم من هذه أشد الإكثار؛ لأني أجد عجبًا إن أكمل الناس إيمانًا وصلاحًا هم من تصغر حسناتهم في أعينهم، مهما كثرت ومهما قارنها من الخوف والوجل تكون صغيرة، والله أثني على عباده الأخيار ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم**

وجلة﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة للنبي ﷺ : يارسول الله أهو الرجل يسرق ويزني ويخاف؟ قال لها: لا يا عائشة هو الرجل يصلي ويصوم ويزكي ولكن يخاف ألا يقبل الله منه [1] أقول لأحبتي : صلينا هذه الصلاة وإلى الله المشتكي ولعلى أولكم صلينا صلاة المغرب وأقول من منا وقف مع هذه الصلاة قائلاً: لعل الله لن يتقبل مني، لعل صلاتي ردت عليّ فلم تقبل، ولعلي قصرت فيها ولم آت بها بكمالها أم أننا قد صلينا فانتهي الأمر فماذا يطلب منا. وهذا والله حال كثير من الناس. وقال عقبة بن صهبان قلت لعائشة: أرأيت قول الله جل ذكره **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾** [فاطر: ٣٢] ، قالت: أما السابق

(١) **صحيح** رواه الترمذي (٣١٧٥) وابن ماجه (٤١٩٨) وأحمد (٦/ ١٥٩) وابن جرير وانظر صحيح الترمذي (٢٥٣٨).

فقد مضي في حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بمثل أعمالهم حتي يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا، قالت وكلهم في الجنة[1].

إذا كان هذا تقوله زوجة المصطفي كيف بنا نحن الذين ربما نزكي أنفسنا ونرفعها! ولهذا كلما صغرت حسانتك في عينك كبرتَ عند الله تعالى، وكلما كبرت وعظمت الحسنات في قلبك ورأيت أنك قدمت وعملت صغرتَ عند الله تعالى. والسبب لأن من عرف الله حق المعرفة و عرف حقه وما ينبغي لعظمته من العبودية تلاشت تلك الحسنات كلها وصغرت كلها أمام عينيه وعلم أنها ليست مما ينجي من عذاب الله تعالى، وأن الذي يليق بعزته ويصلح له من العبودية أمر أعظم مما قدمه العبد،

(١) **ضعيف**. رواه أبو داود الطيالسي (٢٠٩) والطبراني في الأوسط (٦٠٩٤) والحاكم (٢/٤٢٦) وغيرهم قال الهيثمي في المجمع (٧/٩٧): فيه الصلت بن دينار وهو متروك.

ولهـذا قال النبي ﷺ للصـحابة: «لن يُدخل أحـدًا عملُه الجنة. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغـمدني الله بفضل ورحـمة»[1]. وهكذا العكس إذا استصغـرت السيئات التي قدمتـها ورأيتها صـغيـرة لاشك بأنك تصـغر عند الله تعـالى، وإذا عظَمت السيئات كنت عظـيمًا عند الله تعالى. وهذا يوجب لنا أحبتي أن نبتعد أشد الابتعاد عن مثل هذه الأمور التي تحدق بالإنسان وهو لا يشعر بها.

من الدروس كـذلك - وهـو مـهم جـداً - خطر القول على الله بـغير علم والفـتيا فـإن عقوبتـها في الدنيا وفي الآخرة، عقـوبتها في الدينا شاهدناها في هذا الحديث القتل فـهذا أفتى فقُتل بفتـواه التي بغير علم ولهـذا قال هذا الـرجل: مادام أن لا توبة فـلا يضر زيادة مقتول على تسعـة وتسعين رجلا، فقدمه

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦ / ٧٥) عن أبي هريرة.

وقتله ، وقد بين الله سبحانه وتعالى تحريمه بقوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام**﴾ [النحل: ١١٦] وفي قوله تعالى: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن - وعدّ الله جمعًا من المحرمات ثم قال في آخرها - وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ [الأعراف: ٣٢] أحذر أحبتي من قضية الإفتاء بغير علم، كم من الناس يجلسون مجالس ربما أحدهم لا يحفظ حديثًا واحدًا عن المصطفى ﷺ ويحدث بينهم حديثا وفيه أسئلة ويحتاج إلى إجابات تسارع الناس إلى الفتيا، وإلى الإجابة . كم من الجهلة هؤلاء يجلسون مجالس فتثار أسئلة يتسارع بعض الحضور بالجواب عليها عن طريق عقولهم يقول بعضهم: هذه المسألة لا تحتاج إلى شيخ ولا تحتاج إلى إفتاء أمرها هين فهي جائزة. إني لأري عجبًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في مجلس يسألون السؤال فيتدافعونه. إذا

سئل هذا قال: سل أخي فلان. ثم الثاني: سل أخي فلان كلهم يتمني أن أخاه قد كفاه الفتيا بها، حتي تعود إلى الأول[1] إني أري عجبًا إن علماء الإسلام يربون تلامذتهم وطلابهم على كلمة عظيمة أن يقول الإنسان لا أدرى، وأن يقول الإنسان لا أعلم في شيء لم يتبين فيه الحق ولم يصل إلى العلم حتى لا يقع في الخطأ. وكثير من الناس ينخدعون بمظهر الإنسان وربما يجعلون مظهره دليلاً على قدرته على الإفتاء فقد يكون بعض من الناس من الشباب مقرئًا وقد يكون إمام مسجد أو يكون مؤذنًا مثلاً وقد يكون مثلاً مظهره مظهر خير وصلاح واستقامة ينطلق الناس فيظنونه عالم الدنيا فيستفتونه وربما بعضهم ممن لا يكون في قلبه شيء من الورع والخوف من الله يقول: سُئلت فأُحرج أن أقول: لا أدرى. ثم يعطيه

(١) صحيح رواه أبو خيثمة في العلم (٢١) وابن المبارك في الزهد (٥٨) وابن عبد البر في جامع العلم (٢١٩٩) جميعاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

فتوي فيضله بغـير علم. اقرأوا في كتاب آداب طلب العلم، بل اقرأوا في كتب ابن القيم بل مقدمة كتاب ابن القيم إعـلام الموقعين بينوا فيـه خطر القول على الله بغـيـر علم، ها هو الإمـام مـالك رحـمـه الله ورضي الله عنه أرسل إليـه رجل أرسله إليه علـماء مصر بأربعين مـسألة، شاع صيته في الآفـاق شرقها وغربهـا وقالوا له: انطلق إلى الإمـام مالك سله عن هذه المسائل وكان كلما سئل عن مسئلة قال: لا أعلم ولا أدرى. فوقف مـشدوها لم يجب إلا على بضع مسائل فـقط. فقال له: أنت إمام الدنيـا صيتك طار في الآفـاق وتقـول: لا أدري. قـال: ارجع إلى من وراءك أخـبرهم أن مـالكاً لا يدري. ولهـذا قاعـدة يجب أن نعلمـها كلما ازداد الإنسـان علمًا وتبـصرًا بالكتاب والسنـة كلما ازداد ورعًا وخـوفًا من الله أن يقـول على الله بغـيـر علـم. وكم كنا نسـمع هذه الكلمـة من شيخ مشـائخنا، بل من مفـتي ديار هذه

البلاد المباركة شيخنا عبد العزيز بن باز حفظه الله يستفتي في دروسه وحلقاته فيقول: لا أدري لعلك تتصل بي ولعلي غدًا آتيك بالجواب. إذا كان عالم الدنيا يقول هذه كم نجد - إلى الله المشتكي - من أنصاف المتعلمين ومن المبتدئين في طلب العلم يثار السؤال فيستشرفون له، وتثار المسئلة فيدفعون رؤوسهم وكلٌّ يتمني لو أجاب وإذا بعلماء الأمة الكبار -مع كثرتهم - يهدئون وأولئك يتسارعون . وقد قيل: أجرأهم على الفتيا أجرأهم على النار. نعوذ بالله.

أنه يجب على الإنسان أن يسأل عما يعجز عن تركه من الذنوب أو المعاصي أو العادات السيئة، قد يكون الإنسان ألّمت به معصية وأحدقت بقلبه وضعف قلبه عن أن يتركها فبعض من الناس لا يستفتي يقول أخشي أن يُعلم بحالى. نقول ليس هذا منهجًا ، بل المنهج أن تستفتي وأن تسأل من تثق بدينه وعلمه ولو

أن تبـين له ذلك، كـم من النـاس يكون مـــدمـنًا للمخدرات أو مأثورًا لعادة سيئة أو مدمنًا للتدخين أو مستمرًا ومـصرًا على بعض الذنوب ثم يبقى إلى أن يموت ولا يتغيـر من حاله شيء . نقول: هذا الرجل قتل مائة نفس وأصبح سـفاحًا ومع ذلك يبحث هنا وهناك عـمن يبـحث له عن الطريق ليـدله. وأقـول لأحـبتي: إن هذا لـيس من كشف سـتـر الله على العـبد؛ لأنك لم تبح بـه أمام الملأ ، أليس الشـاب الذي جــاء للنبي صلي الـله عليـه وسلـم وقـال: يارسول الله ائذن لي في الزنا. قال النبـي ﷺ عجبًا له والصـحـابـة حـضـور رضي الله عنهـم ينظرونه بأبصارهم فعجبوا منه كيف يستأذن من النبي في الزنا قـال له النبي: اجلس. وحـدثه مربـيًا له: أترضـاه لأمك؟ أترضاه لأختك؟ أترضاه لعمتك؟ أو لخالتك؟ كلها يقول: لا لا يارسـول الله . فقال النبي ﷺ : فكل المسلـمين لا يرضـونه لأمـهـاتهـم وأخـواتهم

وعمـاتهم وخالاتهم. يقول هذا الصحـابي الشاب: دخلت على رسول الله وإن الزنا لمن أحب الأعـمال إليّ، وخـرجت من مـجلـس رسـول الله وإن الزنا لأبغض الأعـمال إليّ.[(١)] هدأ النبي من رَوْعـه ودله على طريق الخـير ، والرجل الذي اعـترف بين يدي رسول الله بالزنا[(٢)]، وجاء ليغير من حاله وواقعه. إن المقـصود من ذلـك هو العلاج لينتـقل الإنســان من المعصـية إلى الطاعة، ولهـذا نقول: من الدروس أن السؤال عن مـعالجة الذنوب والمعاصي والإخـبار بها ليس من كـشف سـتر الله على الـعبـد، بل إنه من الطلب للعـلاج، كما أن الإنســان يكشف عن بعض من عورته لعلاجهـا. ولكن لا أقول أمام الملأ ولكن في حال الضرورة فقط.

---

(١) صـحـيح رواه أحـمـد (٥/ ٢٥٦، ٢٥٧) والطبـرانى (٨/ ١٩/رقم ٧٦٧٩) و (٨/ ٢١٥/ رقم ٧٧٥٩) عن أبي أمامة وانظر الصحيحة (٣٧٠).

(٢) رواه البخاري (٥٢٧٠) ومسلم (١٦٩١/ ١٦) عن أبي هريرة.

من الدروس كـذلك أنه يجب أن نعلم أن الذي يُسأل ويُستفتي في هذه الأمـور يجب أن يكون عالما أو طالب علم متمكنًا، وليس كل أحد تبوح له بهذا الأمـر وتسـأله، كم من الناس يذهبـون إلى أناس لحسن مظاهرهم دون أن يميـزوا، بل الواجب عليك أن تسأل من تثـق في علمه وفي تقواه وفي مـعرفـته ودرايتـه وفي خبـرته وفي قِدمـه في الإسلام حـتى يسهّل عليك هذا الطريق، إني أري عـجبًا من بعضٍ من الناس إذا أرادوا الاستفتاء ينطلقون إلى علماء أو طلاب علم؛ لأن فـتـواهم توافق نفـوسهم، لـيسـوا يبحـثون عن الحق للحق مراده ، وإنما كان المقـصود منه البـحث عن فـتـوي تـوافق تلك النفـوس، يستفتونهم لهوي في قلوبهم ، وإذا قلت لهم إن هذا الأمر محرم، قال: هذا فلان يقول إنه جائز ولاشيء فيه ، وأنا لا آخـذ برأيك، لكنه إذا نزلت به المعضلة لم ينطلق إلى الذي يبيـح له الربا والزمر والطرب بل

ينتقل إلى الأتقى والأعلم.

درس مهم وأعتبره قاعدة لهذه المحاضرة بل يحتاجه كل الناس في طريقهم واستقامتهم على دين الله، هذا الدرس هو أن الاستقامة على دين الله لابد فيها من تضحية كبيرة، من ظن أنه سيستقيم بدون أن يضحي فما يعرف ثمرة الاستقامة. ثمرة الاستقامة ما هى؟ هي صلاح القلب صلاح الجوارح وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. ثمرة الاستقامة هي الجنة «ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[1]. كيف يضحي من يريد الاستقامة ؟ هذا الرجل ضحى بأشياء كثيرة لما انطلق إلى هذا العالم يسأله. قال: إنك في قرية أهل سوء، وانطلق منها إلى قرية أهل صلاح ما الذي ضحى به أليس ترك بلده؟ أليس ترك منزله؟ أليس ترك أهله وأقاربه؟

(١) **صحيح** رواه الترمذي (٢٤٥٠) والحاكم (٣٠٧/٤) عن أبي هريرة ،وورد عن أبي ابن كعب وانظر الصحيحة (٩٥٤، ٢٣٣٥).

أليس ترك زملاءه؟ أليس تـرك مألوفاته؟ ضـحي بها في سبيل صلاح قلبه وإيمـانه؛ ولهذا أقول لأحبتي: ابتـعـدوا عن أهل المعـاصي والظلمـات، وعن أهل الفجـور والشرور، والسبب أن في البـقاء والجلوس معهم عـدم تضحية والله يقـول في كتابه ﴿**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعـتم آيات الله يكفر بها ويستهـزئ بها فلا تقعـدوا معهم**﴾ والسبب ﴿**إنكم إذًا مثلهم**﴾ [النساء: ١٤٠] إذا جلستم مـعهم إنكم إذًا مثلهم، إذًا لابـد من الانتقال من مـجالس أصـدقاء وزملاء مجـالسهم لعب ورق ودخان ومـجالس زمر وطرب ونظر للمحرمات، اتركهم فاستبدلهم بمجالس دروس ومـحاضـرات وخيـر وإيمان وصلاح وتقـوي ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره**﴾ [الأنعام : ٦٨] ولهذا كثيـر من الناس يقولون: نرى الشاب يستقـيم شهرًا وشـــهـريـن وربما سنة وسنتـين ثم يتنكب الـطريق

ويعرض عن صراط الله المستقيم؟ نقول: السبب في ذلك أن هؤلاء لم يضحوا تضحية عظيمة في سبيل صلاح قلوبهم واستقامتهم.

ولهذا فإن من استقام على دين الله فالواجب عليه أن يترك زملاءه وأن يترك تلك الاجتماعات والسهر والخروج والمخيمات والأرصفة السوداء والغبراء التي يجلسها إلى قرب الفجر.

وَدِّعْ هُريرة إنَّ الرَّكْب مُرْتَحِلُ

فلا بقاء لك في هذه المجالس حتي تثبت على طريق الاستقامة. أقول لأحبتي: دعهم وودعهم فلا رجوع إليهم أبدًا في حالة معاصيهم، وإن رجع إليهم فإنه لا بد يومًا من الدهر أن ينحرف أو يتغير عن طريق الاستقامة. وهنا أقول لأحبتي دائما: رددوا هذا الدعاء ﴿**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾ [الأعراف: ٤٣] قاله

أهل الجنة، ونسأل الله أن نكون من أهلهـا في الدنيا وفي الآخرة باجتماع هناك في جنات عدن.

درس مســتنبط لطيف أود أن أركـز عليـه: إن حديث العهد بالاستـقامة والصلاح يرى النور ويرى حلاوة الإيمان ويري أثرها وثمرتهـا فما يكون منه إلا أن يقـول سأنطـلق لأصحـابي وزمـلائي أدلهم على النور الذي رأيته وأدلهم على الصـلاح الذي شاهدته فينطلق وحده. أقـول لأخي هذا: إياك إياك أن تبتل بالماء، إنك إن تذهب كمن ألقي نفسه في البحر، ثم كما قال:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال له

إيـاك إيـاك أن تبتـل بالمـاء

هذا أمـر لا يكون، إذن مـا الـواجب؟. أخي لاتذهب إلى أصدقائك وحـدك أبدًا، والسبب لأنهم سيـذكّرونك بالمعاصي المـاضية ويذكـرونك بماضيك

الأسود ثم يزيّنون لك المعصية. ولكن إذا أردت أن تهديهم وأن تدلهم للخير فاذهب بجمع من الأخيار معك ينصحونهم ويوجهونهم ويستحيون أن يذكروا معاصيهم عندك. هذا أمر مهم فإن بعض الناس ينطلق وحده ثم سرعان ما يسقط في الويلات.

من الدروس كذلك: إن الذنوب مهما عظمت وكثرت لا يعني أن العبد لايتوب أو يرجع إلى الله تعالى، إننا لنتأمل فنقول لأحبتنا : نحن نستغرب إذا تاب المطرب، وإذا أسلم الكافر، بعض من المطربين الكبار وبعض من الكفار ممن تميزوا بالفجور والخني والمعاصي يقول البعض: ما يمكن هذا أن يستقيم. نعوذ بالله هؤلاء من دعاة النار كما أخبر النبي ﷺ: «من أطاعهم قذفوه معهم إلى النار»[1]. وما دام داعية فهو أول من يقذف في النار. لكن نقول:

(١) رواه البخاري (٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧/٥١) عن حذيفة بن اليمان.

رويدك فـإن هذا الأمـر ليس بـصـحـيح بل إنه من اليـأس، ونحن لا نيـأس من روح الله أبداً، بل إني أقول: إن هذا الرجل قتل مائة نفس ومع ذلك قبضته ملائكة الرحـمة، ومن قـبضتـه ملائكة الرحـمة أين سيكون موطنه؟ سيكون مـوطن ترحاله وموضعه هي الجنات، التي نسـأل اللـه أن نكون من أهلهـا. إني لأتأمل قصة عامر بن ربيعة إذا قال قولته المشهورة لما أراد الهجرة سرًا مع زوجته رضي الله عنها وأرضاها خرجـوا سرًا للهجـرة إلى الحبشـة، خرج من طريق وزوجـته من طريـق ثم قال لزوجـتـه: الموعد كـذا وكذا. وصل الرجل قبل أن تصـل زوجته انتظرها ، انتظرها تأخرت، قال لها لما جاءت: ما لكِ تأخرت؟ قالت: إني التقيت بعمر بن الخطاب - وكانَ مشركًا- قال :عجبًا علم عمر بخبرنا إني أخشى منه. سألها: مـاذا قـال لك؟ قـالت: سـألني إلى أيـن تذهبين يا امرأة؟ قالت: قلت له : إني أريد أن أفـر بديننا فقد

آذيتمـونا. فما زاد عمـر إذ قال: أحسنتم فاخـرجوا سأل عـامر زوجـته قـائلاً لها لما سـمع إجابة عـمر اللطيفة: أتظنين أن عمر يُصْدق؟ قالت: إني أرجو فلم أر منه سوءاً. فما زاد عامر إلا أن قال: لو أسلم حمار الخطاب لأسلم عمر![1] يعني لا يمكن أن يسلم مع شـدة عـداوته لله ورسـوله. وكـنت أتأمل وأنا أقول: هـذا عمـر أين كان لقـد بني الله له بيتًـا في الجنة شهد له رسول الله جـنة عدن في مواقع عديدة أعـد له الله منازل في الفـردوس الأعلى، إني أتأمل فنقـول: قد نكون نحن نحكم كـحكم عامـر ولكن نقول: إن الإنسان مـهما عظمت ذنوبه لايعني أنه لا يتوب.

أذكركم بقصة لطيفة واقـعية: زرت أحد السجون في هذا البلد الطيب، وألقيت فيه كلـمة، واستمعت

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٤٣٣).

مع أحبة أسأل الله أن يفرج عنهم ما هم فيه وأن يصلح قلوبهم ويردهم إليه ردًا جميلا وأن يجعلهم أعضاء صالحين لايعودون إلى هذا الموقع أبدًا وبعد فترة شعرت وإذا بالذي كان في الدرس كان في المحاضرة في ذلك المكان شعرت إذا هو يحضر درسًا عندي أمام عيني في المسجد، والآن أعلم بأنه يدرس في إحدي الكليات الشرعية، سيتخرج غدًا طالب علم يربي أجيالنا على الخير والصلاح. ما نقول: كيف بالأمس كنت خرجت من هذا ثم توجِّه؟ نقول من يحول بينك وبين التوبة؟ من تاب تاب الله عليه وهذه نعمة من الله تعالى. وليس من مضي له ماض أسود ألا يعود إلى الله وألا يصلح من حاله. أتذكر قصة واقعية لطيفة كذلك: أعرف بعض الأحبة إني إذ أري وجهه أري عجبًا في وجهه شيئًا من الضروب والخدوش كان بالأمس مروّجا للمخدرات تاركًا لصلاةٍ وطاعة وقربة ولكن رزقه الله الإيمان حفظ

الآن ١٦ جـــزءا وهو يصلـي بالناس ويخطـب بهم الجـمعـة. نقـول من يحـول بينك وبين التـوبة؟ إن التـــائب من الذنب كـــمن لاذنب له[1] ولا نعـيش للماضي فاحمد الله ألا يكشف لك سترا، وسل الله تعالى أن لا يفضـحك في الدنيا ولا في الآخرة وإنما يختم لك خاتمة خـير. هكذا يجب أن نعلم أنه ليس هناك ثمـة عيب في وجـود القـصور إنما العـيب في الاستمرار على القصور والانحراف.

من الدروس كذلك سعة رحمـة الله تعالى بعباده فمهما كثرت ذنوب العـبد فإن الله يغفرها، فإن هذا قـتل مائة ومع ذلك غـفر الله له وقـبضـته مـلائكة الرحـمة، هل التـوبة وهل رحمـة الله لأهل الإيمان والصلاح والتقوى؟ نقول التـوبة عامة لمن أقبل على

(١) **حسن** رواه ابن ماجـه (٤٢٥٠) والطبرانـي (١٠/ ١٨٥/ رقم ١٠٢٨١) وغيرهـما مرفوعـاً عن عبد الله بن مسعـود قال السخاوي في المقاصـد الحسنة (٣١٣) حسنه شيخنا يعني لشواهده، وروى موقوفا قال المنذري (٤٥٨٩) روي موقوفا ولعله أشبه بل هو الراجح وانظر الضعيفة (٦١٥).

الله تعالى. أري عجبًا من سعة رحمة الله تعالى في سورة البروج **﴿قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود﴾** [البروج: ٤-٦] ماذا حدث لأهل الإيمان خدت لهم أخاديد والكفار يلقونهم في النار، يقول الكفار: تؤمنون بالملك هو رب أو نلقيكم في النار؟ قالوا: بل ألقونا. ويلقون واحدًا تلو الآخر تأكلهم النار ويصبحون حُمما. ثم بعد ذلك أولئك الذين ألقوهم فتح الله لهم باب رحمة **﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا﴾** [البروج: ١٠] أي أن من تاب غفر الله له ولو ألقى أخاه في النار. أو ليس قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة.[1] خرج المسلم مجاهدًا في سبيل الله قتله أحد المشركين. المسلم لما قُتل مصيره إلي الجنة **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من**

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠/١٢٨).

فضله﴾[آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] بعد فترة أسلم هذا الكافر الذي قَتل المسلمَ ثم مات على الإيمان أو استشهد، اجتمعا في الجنة سويًا، أحدهما كان سببًا لدخول صاحبه لجنات عدن، سعة رحمة الله. أين الذين يتعرضون لنفحات المولى، إني لأتأمل لحديث عظيم وهو في الصحيح [1] أذكر به تلك الرحمة العظيمة لله تعالى، لكن أين الذين يريدون أن يُرحموا؟ في قصة خرج النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وكان الجيش الإسلامي قد انتصر، وكان من الجيش المهزوم فيهم امرأة ، عجبًا لها كان معها طفل صغير رضيع فقدته في معمعة المعركة، فرت ففقدته لما انتهت المعركة والصحابة حضور فوجدوا هذه المرأة تبحث عن رضيعها ﴿**رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**﴾ [الاسراء: ٢٤] أخذت هنا كلما وجدت صبيًا قالت لعله هو رفعته نظرت إليه ليس

(١) رواه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٢/٢٧٥٤).

هو، أنزلته والصحابة ينظرون رفعت عددًا من الصبيان ولما وجدت رضيعها ضمته إلى صدرها فرحًا بلقياه قبّلته ألقمته ثديها فرحًا به، والصحابة ينظرون، قال النبي للصحابة: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لاتطرحه لما رأينا من شدة حرصها وفرحها بوجوده قال لهم النبي ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها». ويقول الله أيضًا: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها**﴾. لمن يكتبها الله؟ ﴿**للذين يتقون**﴾ [الأعراف: ١٥٦] لأهل التقوى والإيمان والصلاح ونسأل الله ألا يحرمنا واسع رحمته وأن يدخلنا في هذه الرحمة العظيمة التي وسعت كل شيء لعلها تغفر السيئات والذنوب.

من الدروس كذلك أن الأعمال بالخواتيم ولهذا سلوا الله دائمًا أن يحسن الختام لنا ولكم. هذا

الرجل ليس بينه وبين توبته إلا ساعات قلائل، ربما سيفه لم ينشف من دم ذلك الراهب ولكنه تاب فقبل الله توبته فقبضته ملائكة الرحمة، كم من الناس يسوّفون في توبتهم ولعلهم يختم لهم بخاتمة السوء وأعوذ بالله أن يختم لنا بخاتمة السوء. إني أتذكر قصة واقعية ولعلي ذكرتها في حسن الخاتمة: أحد الشباب الأخيار كان بالأمس ليس مصليًا ولا صائمًا ولا راكعًا ،كان بالأمس سبابًا وشتامًا ولعانًا كان بالأمس مجالسه الزمر والطرب والظلمات قيض الله له رفقة صالحة جلس معهم مدة أسبوع واحد تغيرت حياته أشرق نور الإيمان في قلبه وأضاء له الطريق فأصبح يشهد صلاة الجمعة ويصلي صلاة الفجر ويواظب على الخير. خرج مع بعض من زملائه لنزهته وسبحان الله مشي معهم في الطريق ووالده طلب منه أن يرجع نظرًا لأنه نزل به أضياف، وسبحان الله في أثناء الرجوع أصيبوا بحادثة، ولعل

الضربة كانت من جهة هذا الرجل الشاب قوية، نقله اثنان من الأخيار أحدهم مكسور والآخر مدشوش إلى الإسعاف، كانوا حوله يهللون ويكبرون يذكرون الله تعالى . اتصل بوالده ﴿**رب ارحمهما كما ربياني صغيراً**﴾ فجاء وانطلق مسرعاً، فتح باب الإسعاف بغير شعور: أين ولدي؟ فلما فتح إذا به يسمع كلمة التوحيد بصوت ندي «لا إله إلا الله . هدأت أعصابه، نظروا إذا بولده يكرر هذه الكلمة، كاد أن ينهار لما رأي الأمر الأول؛ لكن لما سمع كلمة التوحيد هدأت أعصابه ودع ابنه الدنيا بـ «لا إله إلا الله» .«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»[1] . وهنيئًا لأولئك القوم الذين ينطقون بكلمة التوحيد . والده يقول بعدها : لما جاء يدفنه ويباشر تغسيله وغيره لم تذرف عيناه بدمع كثيراً:

(١) حسن رواه أبوداود (٣١١٦) والحاكم (١/٣٥١) عن معاذ بن جبل. وانظر الارواء (٦٨٧).

قال الحمد أنه لم يمت على المعصية ولم يمت قبل أسبوع لكانت خاتمته سوءاً، الآن مات مع الأخيار، مات مصليًا راكعًا ساجداً، نطق كلمة التوحيد بعدها إني لأرجو له الجنة. الأعمال بالخواتيم وبناء عليه احرص أخي المسلم على طاعة الله لعلك أن تكون من أهل الصلاح والإيمان والتقوى.

من الدروس كذلك أن باب التوبة مفتوح للعباد جميعًا لكن أين الذين يقبلون على الله بتوبة صادقة حين ينزل الجبار يقول: هل من داع، هل من تائب، هل من مستغفر؟[1] إن باب التوبة لا يغلق حتي تطلع الشمس من مغربها[2] إن باب التوبة لا يُمنع من العبد حتي تأتيه الغرغرة ﴿**رب ارجعون.لعلى أعمل صالحاً**﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] روى الإمام

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨/١٦٨) عن أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم (٢٧٥٩) عن أبي موسي الأشعري.

أحمد في مسنده وغيره [1] عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر» وعند ذلك إذا حدثت الغرغرة فلا قبول للتوبة . ها هو فرعون قاتله الله عندما أدركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الله الذي آمنت به بنو إسرائيل، الآن وبعد أن عصيت قبل؟! ما يمكن أن يستفيد شيئا.

فسارع أخي المسلم، ما دام باب التوبة مفتوح لعل الله يغفر سيئاتك ويزيل عثراتك ويتوفاك على طريق الصلاح والإيمان. ولذا وجب على المسلم أن يسارع إلى التوبة لله تعالى فلعل المسلم أن يداهمه الأجل قبل أن يتوب كما فعل فرعون، ما تاب إلا حين داهمه الأجل وعلم أنه سيموت، ويمكن أن يصل الإنسان إلى مرحلة يقول: ﴿**رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت**

(١) **حسن** رواه أحمد (٢/ ١٣٢، ١٥٣) والترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣). وانظر صحيح الترمذي (٢٨٠٢) عن ابن عمر.

كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ [المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠] .

من الدروس كذلك أن الهداية بيد الله تعالى وأن مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهكذا العلماء والدعاة هي دعوة الناس لطريق الخير فمن أخذ بهم سَعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض شقي في الدنيا وفي الآخرة والله يقول : **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** [طه: ١٢٤] فهذا الرجل أخذ بوصية هذا العالم ولكنه سعد والله في الدنيا والآخرة، ولكن لم يمكث في هذه الوصية لحظات لكن ترتبت عليها سعادة عظيمة عمل قليلاً ولكن أُجِرَ كثيراً. ولهذا نقول إن مهمة الدعاة إلى الله تعالى تبيين الحق للناس، كون الناس يقبلونه أو يعملون به أو يسيرون عليه هذا ليس للعلماء أو الدعاء ولا للأنبياء ، والله قد قال لرسوله **﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾** [القصص : ٥٦] والله قال لرسوله **﴿أفأنت تكره**

الناس﴾ [يونس : ٩٩] وقال لرسوله : **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾** [يونس : ٩٩] ولكن المسلم واجب عليه أن يبلغ دين الله على قدر استطاعته لعل الله أن يفتح على قلبه . فبعض من الناس تقول له: لماذا لا تبين لهذا؟ هذا لا يصلي؟ لماذا لا تقول له: صلٍّ صلاة الفجر؟ أو تنكر على هذا المعصية قال: إنه أصلاً لا يقبل ! فمن يدريك، أأنت تعلم أم الله؟ الله هو العالم، أنت بَلِّغْه . قَبِلَ فالحمد لله، لم يقبل فالإثم عليه وأنت برئت ذمتك.

من الدروس كذلك خطر قرناء السوء على العبد؛ لأنهم يزينون المعاصي والظلمات والمعاص للإنسان، وأين أخذناه لما قال هذ العالم: إنك في قرية أهل سوء إن تعش معهم تعد إلى المعصية. إن تمكث معهم تعود إلى الظلمة، وهذا مصداق حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر

أحدكم من يخالل» [١] ومصداق لحديث النبي صلى الله عليه وسلم «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير»[٢] إنك إن تجالس أهل الظلمات والمعاصي تُتَهم بهم، وإن تجالس أهل الخير والإيمان والصلاح والتقوى تتشرف بهم وتُعظم وتكون لك سعادة ولذة ولن تعدم خيرًا تستفيد منه.
كم من الناس تزوره في مواطن السجون وغيره سله: ما السبب الذي جاء بك؟ قال: إنه لقرناء السوء.
ولهذا أحث أحبتي الآباء على أن يبحثوا لأبنائهم من الأصدقاء الذين يعينونهم سواء في المدرسة أو المسجد أو من الجيران. دله وكن معينًا له على صلاح قلبه. كم ينحرف الشاب بأثر أولئك، إن هذا والله لهو انحراف كبير أن لايدري الإنسان عمن يجالس ولده.

(١) **حسن**. رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد (٣/ ٣٠٣، ٣٣٤)، وانظر صحيح الترمذي (١٩٣٧) عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري (٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨/ ١٤) عن أبي موسى الأشعري.

من الدروس كذلك فضل الرفقـة الصالحة وثمارها في الدنيـا والآخرة. ثمـراتهـا في الدنيـا البعـد عن المعاصى، وثمـراتها عند الموت أن تنزل الملائكة ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخـافوا و لا تحـزنوا**﴾ [فصلت: ٣٠] وثمراتـها في الآخـرة جنات عدن تحـصل للمسلم فـيهـا السعـادة واللذة، من أين أخـذناه؟ انطلق إلى قـرية كذا فـإن فيهـا قومًا صالحين، إنك إن تجلس معـهم تعبد الله فلا تعـود إلى معـاصيك، إنك إذ تجلس مع الرفـقة الصالحة نحن جلسنا هنا ولـعل بعضنا في قلبه شيء من المعاصي أو حوله.من منا خطرت له معصيته وبدأ يسبح فـيها؟ لأن الجـمع جمع أخيـار واجتماع فـيه تواصي وتعـاون على طريق الخـيـر والإيمان لكن إذا جلس الإنسان لأولئك الذين يزينون ويحببون يشرب قلبه ويتأثر بهؤلاء تأثرًا عجيباً، ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليـه وسلم ﴿**واصـبـر نفـسك مع الذين**

يدعـون ربهم بـالغـداة والعـشي﴾ [الكهف: ٢٨] أنبه تنبيهًا لطيفًا هنا وإن كان في الذهن إعداد درس حول قضـية الرفقـة الصالحة إني إذ أتأمل قـول الله تعالى **﴿واصبـر نفـسك مع الذين يـدعـون ربهم بالغـداة والعـشي يريدون وجـهـه﴾** [الكهف : ٢٨] الصـبر لا يكون إلا مع المشقة فلو قلنا لأحد: اصبر على شرب الماء. قال : الماء لا يحتاج إلى صـبر ولا مشقة. إذا قلنا لشخص: اصـبر في مجـالسة فلان. قـد يقول الإنسان: الجلسة وراءها عشـاء ويمكن أن تكون فيها موعظة وليس فيـها مشقة. ولكن هنا تأملت قـضية الصبر إن الصبر يكون فـي الاستمرار قد أجلس مع الأخيار أسبوعًا وأسـبوعين ولكن من منا يستمر على الطريق فيـلازم ويلزم ذلك الطريق فلا يتـخلى عنه. يحتاج إلى مشقة، لاشك أن فـيه مشقة. من الناس من تسـأله: لماذا لا تجلـس في هذه الجلسـة؟ لماذا لا تجتمع مع إخوانك؟قـال: بالأمس رأيتهم ولكن بعد

أسبوع سأراهم فلا حاجة لزيارتهم ولا غيرهم. ثم يأتيه الشيطان في تلك الفجوات والخلوات فيضله عن الطريق ويؤثر على قلبه. لازم الأخيار أشد الملازمة لأن ثمارها والله في الدنيا وفي الآخرة وهذه ثمرة أقول في نفسى: ليت شِعْري هذا الرجل لم يصل حتي إلى قرية الصلاح والاستقامة هو في منتصف الطريق يزيد نحو ذراع أو شبر فقط ومع ذلك قبضته ملائكة الرحمة. ليت شِعْري كيف لو جالس الأخيار وحضر مجامعهم وتواصى معهم على طريق الصلاح والاستقامة. وكيف إذا جالس الأخيار وبينوا له المنهج وعَبد الله معهم وتمسك كانت له منازل عليا. هو بمجرد التوجه قبضته ملائكة الرحمة فكيف لو جلس معهم نسأل الله أن نكون ممن يجالس الأخيار ويحبهم.

من الدروس كذلك أن المشي في طريق الطاعة

يحصل لصاحبه ثمرة الطاعة ولو كان في طريقها، ويحصل له أجر الطاعة متى كان مخلصًا لله تعالى وفي قلبه رغبة ومحبة. والدليل على ذلك هذا الرجل مشى في طريق الصلاح والإيمان فحصل له أن قبضته ملائكة الرحمة. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة»[1] إنك إذ تنطلق لدرس أو محاضرة أو كلمة أو موعظة إنك تمشي في طريق الجنة متى حدث لك شيء . وأعظمه قول النبي ﷺ في ذلك الصحابي الذي وقصته ناقته كان حاجًا مع النبي ﷺ وقصته الناقة فمات، فقال النبي ﷺ : لا تقربوه طيبًا ولا تغطوا وجهه. ثم قال النبي ﷺ: إنه يبعث يوم القيام ملبياً. [2] مستمرًا في العمل الصالح لأنه يريده. إنك إذ تمشي في طريق

(١)رواه مسلم (٢٦٩٩ / ٣٨) وأبو داود (٤٦٤٣) والترمذي (٢٦٤٦) وابن ماجه (٢٢٥) عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري (١٢٦٨، ١٨٤٩) ومسلم (١٢٠٦/٩٣، ٩٤...) عن ابن عباس .

الخير والصلاح يكتب الله لك الخير ويكتب الله لك الصلاح - وإن لم تعمل أو تستمر في ذلك - متي مت على هذا الطريق. هنيئًا لأقوام همهم الخير والصلاح والاستقامة والالتزام بدين الله تعالى.

أو ليس ذلك الصحابي رضي الله عنه وأرضاه كما ثبت في الصحيح كان أبعد دارًا عن المسجد ومع ذلك كانت لا تخطئه صلاة - أي لا تفوته صلاة. قال له بعض الصحابة ناصحًا له: لو اشتريت حمارًا يقيك حر الرمضاء ويقيك في الليل الأحجار والهوام. قال رضي الله عنه: والله إني لا أحب أن منزلي عند المسجد! قالوا له: لم؟ قال: إني أحتسب ذهابي ورجوعي في ميزاني يوم القيامة. أُخبر النبي ﷺ فقال: إن الله قد كتب له ذلك كله [1]. لكن نحن في أمة أمرها عجب البيت المجاور للمسجد

(١) أخرجه مسلم (٦٦٣/٢٧٨) وأبو داود (٥٥٧) وابن ماجه (٧٨٣)عن أبيّ بن كعب.

ينزل من قيمته خمسون ألف ريال، والشخص البعيد عن المسجد لا يصلي فيقول: لو كان بيتي عند المسجد كان مشجعًا. فالقريب لا يرغب والبعيد لا يصلي، فإلى الله المشتكى من واقع الناس وعدم حرصهم على مواطن الطاعات ومواطن الخيرات.

من الدروس كذلك ينبغي للمسلم أن يخاف من مغبة المعاصي والذنوب. فإنك إذ تعصي ربما تكون لها مغبة وأثر سيئ نعوذ بالله من آثار المعاصي صغيرها وكبيرها. ونسأل الله ألا يكشف لنا سترًا كما سترها علينا في الدنيا أن يسترنا كذلك في الآخرة . وإلا فإن مغبة المعصية كبيرة هي ذل في وجه الإنسان، وظلمة في قلبه، ووحشة في نفسه وعقوبة في الآخرة نعوذ بالله من أثرها.

هذه بعضٌ من الدروس التي نحتاجها في قضية هذا الحديث. أنطلق لأمور على عجل، إن من

شروط التوبة:

أولاً: الندم على الذنب وهو على ما سلف من الإنسان من التفريط والمعاصي في ماضيه ، وإن الذي يقول أستغفر الله وأتوب إليه ولم يكن في قلبه ندم فتوبته كاذبة ليست صادقة، ودليل ذلك ورد في مسند الإمام أحمد [1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الندم توبة». الندم توبة ومن لم يحصل له ندم دل على أنه راض بالمعصية ولم يكن ساخطًا لها.

ثانياً: الإقلاع عن المعصية. كم من الناس يكونون في المسجد يستغفرون وما يخرج من باب المسجد إلا وقد عصى. هو يتوب ويسمع موعظة عن الغيبة والنميمة ثم يخرج فيجد شخصًا فيأكلون أعراض الناس. وهو في المسجد يعلن توبته . نقول: ذاك

(١) **صحيح** رواه أحمد (١/٣٧٦، . . . .) وابن ماجه (٤٢٥٢) عن عبد الله بن مسعود وغيره وانظر صحيح الجامع (٦٨٠٢، ٦٨٠٤).

أمر ليس بصحيح وليست توبة صادقة. ولذا يستحيل التوبة مع مباشرة الذنب فالتوبة ليست صحيحة.

الثالث: العزم ألا يعود للذنب أبدًا يعزم من قلبه، وإن وقع مرة من الدهر فيها فتـوبته الأولى صحيحة وأصبح الذنب الجـديد يحتاج إلى توبة مسـتقلة. أما من قـال أستـغفر الـله وأتوب إليه ولكن ينتظر بـعد أسبـوع سيعود إلى الـذنب! فنقول: إنك لم تتب، وتوبتك كاذبة.

وزاد العلماء شرطًا رابعاً: إذا كانت فيها شيء من حقوق الناس أن لابد من إرجاع حـقوق الناس إليهم حتي يكون الإنسان تائباً.

إن التوبة لها علامات فالتـوبة المقبولة لها علامات منها: أن يكون الإنسان بعد التوبة خير منه قبله، أما إذا كان بعد التوبة شرًا منه فـهي ليست توبة صادقة. فإذا كنت بالأمـس مذنبًا غـدًا سأصبـح إن شاء الله

خـيــــرًا من أمس . أقلعت عن بعـض هذه الذنوب وتركتها وتحسنت حالي بطاعة وصلاح واستقامة .

أمر ثان: أن لايزال الخوف مصاحبًا له في قلبه لا يأمن مكر الله تعالى طرفـة عين، خوفه مسـتمر إلى أن يسـمع قـول الرسل التي تقـبض روحـه أو قـبل الرسل التي تأتيه ﴿**ألا تخـافوا ولا تحـزنوا وأبشـروا بالجنة التي كنتم توعـدون**﴾ [فصلت : ٣٠] يقول ابن مسعـود رضي الله عنه وأرضاه: «إن المؤمن إذ يذنب الذنب يري أنه كالجبل العظيم على رأسه يخاف متي يقع عليه. وإن المنافق إذ يذنب الذنب فهو كذباب أو طير وقع على أنف أحدهم. ثم قال به هكذا. أشار بيده يراه صغيراً»[١] وهذه لاشك من علامات التوبة الصادقة والمقبولة عند الله تعالى.

هناك ثمة حـقائق ترتبط بالتوبة وهي ثلاثة أشـياء لابد من وجودها.

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨).

أولها: تعظيم الجناية حتي يوجد في قلب الإنسان خوف من الله ، لابد أن يعلم أنه إذا استهان بها فإنه لم يندم عليها، وعلى قدر تعظيم الجناية يحصل الخوف. قديما قال بعض السلف: إذا نظرت إلى صغر الذنب فانظر إلى عظم الذي عصيته. إذا نظرت إلى صغر المعصية فانظر إلى عظم الذي عصيته،وهو الله سبحانه وتعالى. وهذا يوجب للإنسان تعظيمه لجنايته ومعصيته، ولهذا تجدون من أضاع مثلاً ريالاً لا يتأثر له. لكن من أضاع ٥٠٠ ريال ستجده يبحث هنا وهناك ويسأل هل رأيتم ساقطا هنا وهناك. لأنها عظيمة في نفسه. قالوا: هناك أمور تحصل فيها تعظيم الجناية أولاً بتعظيم الأمر وتعظيم الآمر والتصديق بالجزاء، ولقد تكلم عليها ابن القيم عليه رحمة الله تعالى كلامًا بديعًا هنا في قضية «منزلة التوبة» كلامًا عظيمًا يتميز به ويحتاج إلى محاضرة مستقلة تبين فضل هذه المنزلة

وأثرها العظيم في واقع الناس حتي يكون لها أثر للإنسان .

منها كذلك قالوا: اتهام التوبة، وقالوا: إن الإنسان يتهم توبته، الذنب وقع ١٠٠٪ ولا أحد ينكره حصل له سماع زمر، عقوق والدين، هذا ١٠٠٪ وقع، لكن التوبة حدثت وما يدريك أنها قبلت؟ فإن الإنسان لا يتحقق قبول توبته، وما يدري لعلها ردت عليه ونعوذ بالله أن نكون ممن ترد عليهم توبتهم ولا تقبل منهم. ولهذا وجب على الإنسان أن يتهم توبته في هذه الأمور والسبب قالوا: حين يجد في قلبه التفاتًا إلى الذنب الفَيْنة والفينة يعلم أن توبته ليست صادقة حين يطمئن ويثق بأنه قد تاب ومسح ذنبه ١٠٠٪ قالوا: فإنه بعد ذلك دليل على عدم صدق التوبة. ولابد من إتهامها . قالوا: حين يجد جمود العين فلا تتأثر حين المواعظ والذكر وسماع القرآن دليل على أن في القلب غفلة. قالوا: حين لا

يُحدث بعد التوبة عملاً صادقًا دليل على أن توبته متهمة، وهذه تكلم عليها الإمام ابن القيم كلامًا بديعًا رحمه الله ورضي عنه.

هذه خواطر حول التوبة حول حديث النبي ﷺ «من يحول بينك وبين التوبة؟» أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسني وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من أهل الصلاح والإيمان والتقوي ، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يتوفانا وإياكم على طريق الإيمان، وأن يرزقنا وإياكم توبة قبل الموت، وتوبة عند الموت، أوبة إلى الله تعالى، ورجعة نصدق فيها مع الله ، علّنا أن ننجو ونسعد في الدنيا والآخرة . ونصلي ونسلم على نبينا محمد.

★ ★ ★

الفهـــرس